الفصل السادس

في نقد التنجيم

انتقد العلماء والمفكرون التنجيم من نواح عدة، فبعضهم نقد أسسه وأصوله، وبعضهم نقد اختلاف قواعده وتناقضات مقرراته، وآخرون نقدوه من حيث غلبة الخطأ في تنبؤاته. . . وهكذا.

وأكثر هذه الانتقادات في محلها، كما سيرى ذلك القارئ الكريم، لذلك سأعرض لها هنا بشيء من الاختصار[1]. لكن أهم ما يعاب على التنجيم هو أنه فن لا دليل عليه ولا سبيل إلى تصحيحه:

مشكلة غياب الدليل في التنجيم:

وأنت إذا قرأت أي كتاب في هذا الفن، لن تجد فيه الاستدلال على قواعده وأصوله، وإنما يلقى إليك الكلام مجردا عن الاحتجاج، فتقرأ عن الكواكب وأمزجتها، والأبراج وطبائعها، وعن المنازل والطوالع والتقابل. .وغير ذلك من قواعد التنجيم. لكنك لا تجد إثباتا لهذا كله، ولا لبعضه. فلو سألت لم كان برج الحمل يتبع الشمس لا الزهرة، أو لم كان التربيع ـ في تقابل الكوكبين ـ علامة شر لا خير، أو لم جعلتم برج الحمل مذكرا وبرج الثور مؤنثا، لا العكس. .أنت إذا سألت عن هذا وشبهه لن تجد جوابا.

يكاد «الدليل» الوحيد الذي ينبني عليه التنجيم، هو شكل من القياس المتسرع والانتقال الخاطئ من ملاحظة بعض الآثار الفيزيائية لبعض الكواكب والنجوم، إلى القول بأن لهذه الأفلاك آثارا أخرى، هذه المرة على الإنسان وحياته، النفسية والاجتماعية والعملية. . . وقد بينت هذا في أول الفصل الرابع، وأزيده هنا بيانا:

---

(١) لن أناقش في هذا الفصل مذهب ألوهية النجوم، لسببين: الأول أنه واضح التهافت. والثاني أنه غير واسع الانتشار اليوم، كما في الماضي.

حجة بطليموس:

هذا بطليموس مثلا ـ في مقدمة كتابه تيترابيبلوس ـ يتكلم عن آثار القمر على الجماد والحي، فيبين أن مستوى الأنهار، وحركات المد والجزر في البحار، ونمو النبات وتفتح البذور. . .كل ذلك من آثار القمر. وبعض الكواكب تحدث ـ بمرورها في مواضع معينة ـ حرارة أو برودة، في الأرض. لكن ـ يقول بطليموس ـ إن أقوى الكواكب والنجوم أثرا هو الشمس. ولغيرها تأثير أيضا، إنما بدرجة أقل[١]. والمشكلة أن أي إنسان بإمكانه أن يدرك آثار الشمس ـ بل حتى القمر ـ على حياتنا، ولكن قلة فقط منهم تدرك آثار الكواكب الآخرى[٢].

هذا الكلام يقبل عموما، لكن بطليموس يقول عقبه، فجأة وبسرعة: ما المانع إذن أن يتمكن الذي يعرف جيدا خصائص الكواكب وأحوالها من إدراك آثارها على حياة الإنسان وخلقه ومزاجه. . .وسائر شؤونه. وما دام لهذه الكواكب الآثار المتقدمة فكيف لا تكون لها آثار مشابهة على حياتنا؟[٣].

وقد أخذ المنجمون ـ بعد بطليموس ـ هذا الكلام، وصيروه دليلا على ممارستهم هذه[٤]، فهو تقريبا «حجتهم» الوحيدة، وجاء المعاصرون ـ من أهل التنجيم ـ فأضافوا أشياء إلى هذا الدليل، أشياء أملاها التقدم العلمي الحديث، قالوا : إن الكواكب ترتبط بالأرض بعلاقات قوية من الجاذبية الفيزيائية، وإن طريقة تأثيرها في الحياة الإنسانية هو إرسالها لأشعة تخترق الفضاء وتصل إلى أعماق الإنسان[٥].

والظاهر أن هذا المنطق هو نفسه الذي أوحى إلى الكلدان بما وصلوا إليه من التنجيم. لقد لاحظوا أن بعض المجموعات النجمية حين ترجع إلى نقطة معينة في السماء، فإن الفصول أيضا تعود، مع ما يصاحبها من تيارات هوائية متميزة، ومن تساقط أوراق الشجر. .ونحو ذلك. وكذلك لاحظوا أن تغيرات المد والجزر تسير بالموازاة مع تنقل القمر في منازله، وكذلك فإن حيض النساء يتكرر مرة في كل شهر

---

(١) Tétrabible , p7.

(٢) Tétrabible , p8.

(٣) Tétrabible , p8 ـ ٩.

(٤) انظر مقدمة ابن خلدون، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٥) Quelques sciences captivantes, p 201.

قمري. لكن الكلدان، وبسبب من ضعف معارفهم، لم يستطيعوا أن يميزوا متى يكون لوضع الكوكب أثر مباشر، ومتى يكون له أثر غير مباشر، وما هي الآثار الحقيقية، وتلك التي هي وليدة «الاتفاق»، أو وليدة تخمين خاطئ..[١].

هذا هو «الدليل» الذي يساق لإثبات التنجيم، وهو يخص الأساس العام الذي يقوم عليه هذا الفن، أعني أن للكواكب آثارا على حياة الناس. فإذا انتقلنا إلى قواعد التنجيم التفصيلية، فإننا نجد غيابا كاملا للاستدلال والإثبات. فبطليموس حين وصف المشترى والزهرة بأنهما خيرين، بسبب غلبة الحرارة والرطوبة عليهما، بخلاف الكوكبين الشريرين: زحل والمريخ... فإنما فعل ذلك، «لأن القدماء فرضوا علينا أن نعتقد ذلك»[٢].

فهذه هي الحجة: إن المعرفة التنجيمية أصلها مجهول، لكن قيمتها وسلطتها المعرفية فوق الجدال، كما أنها موغلة في القدم[٣].

اعتراف المنجمين بأن التنجيم لا يقوم على دليل:

كذلك قال الكوشيار بن ياسر الديلمي: إن التنجيم لا سبيل للبرهان عليه[٤].

واستمر هذا الأمر إلى اليوم، لقد عجز المنجمون ـ باعتراف توكر وميرتينس ـ عن إثبات أسس التنجيم وقواعده، وعن تقديم تفسير عقلاني وواضح لها، بعيدا عن التحكمات الباردة والفروض الصرفة[٥].

والمنجمون واعون بأن إقامة الدليل على التأثير الذي يزعمونه للكواكب، هو أساس مصداقية التنجيم. ويقول بعضهم سنثبت ذلك ونستدل له، لنصل ـ كما يرى توكر ـ إلى ما يسمى بالتنجيم العلمي. لكنهم لا يقدمون شيئا يمكن أن نطلق عليه فعلا اسم الدليل[٦].

---

(١) Quelques sciences captivantes, p 189.

(٢) Tétrabible, p 20.

(٣) Principes d'astrologie scientifique, p9.

(٤) في مقدمة كتابه «المجمل في الأحكام». نقله ابن القيم في مفتاح دار السعادة، ص ٤٦٦. والكوشيار هو أبو الحسن، فلكي توفي حوالي سنة ٣٥٠هـ. انظر الأعلام، للزركلي، ٦/ ٩٨.

(٥) راجع: Mertens: L'occultisme du zodiaque, p66 - 67 Tucker: Les principes d'astrologie scientifique,p53

(٦) قدم توكر «نظرية» لتفسير هذا التأثير للكواكب، لكنها متهافتة لا تثبت شيئا، انظر: Les principes =

مناقشة دليل بطليموس:

إن دليل بطليموس صحيح باعتباره دليلا للإمكان، لكنه خاطئ إذا اعتبر دليلا للوقوع. فقوله للكواكب آثار مؤكدة على الأرض، كالنور والمد والجزر، و ـ اليوم ـ الجاذبية. . . فما المانع أن تكون لها آثار أخرى في الحياة البشرية. . . هذا دليل الإمكان، وهو من هذه الجهة سليم، فلا يستحيل عقلا ولا شرعا أن يخلق الله تعالى العالم على وجه يكون فيه للنجوم تأثيرات على الناس، كما لسائر الأسباب تأثيرات في مسبباتها.

لكن المشكلة في دليل الوقوع، أو الحدوث، أين هو؟ وكيف نعرف أن هذه الآثار المزعومة موجودة بالفعل.

إن الخطأ الأساسي للتنجيم ـ كما يقول كوديرك ـ هو مبالغته في استغلال مسألة الآثار الواقعية الفيزيائية للشمس والقمر على الأرض. . . وانتقاله من هذه الآثار المحققة إلى بناء عالم خيالي من العلاقات والصلات بين النجوم والبشر[١].

وما بين القول بأثر الكواكب على الأرض في الجاذبية والمد والجزر. . . ونحو ذلك، والقول بأثرها في طبيعة الإنسان ومزاجه وحياته وموته وزواجه وعمله. . . ما بين القولين بعد ما بين المشرق والمغرب.

ولذلك يقول ابن القيم: «هب أن بعض الآثار المشاهدة مسبب عن تأثير بعض الكواكب والعلويات، كما يشاهد من تأثير الشمس والقمر في الحيوان والنبات وغيرهما، فمن أين لكم أن جميع أجزاء العالم السفلي صادر عن تأثير الكواكب والروحانيات»[٢].

وقد لاحظ نقاد من القدماء ـ منهم شيشرون[٣] ـ هذا الانتقال السريع من تسجيل الآثار الفيزيائية ـ للشمس بالخصوص ـ إلى تقرير آثار عامة على حياة الإنسان. ولذلك يقول ابن سينا ـ في رسالته في إبطال التنجيم ـ إن التنجيم وليد

= . d'astrologie..p53à57 أما ميرتينس فقد أحالتنا على ما سمته بالتنجيم الكوني، وهو باطنية صرفة. انظر: L'occultisme du zodiaque, p 66 et après

(١) انظر: L'astrologie, p 57 à 59

(٢) مفتاح دار السعادة، ص ٤٤٥.

(٣) علم الغيب في العالم القديم، ص ١٨٤.

محض لخيال المنجمين، أو هم أخذوه عن القدماء، وهؤلاء ليس في كتبهم أي أدلة حول أحكامهم في أفعال الكواكب وخصائصها. ويلح ابن سينا كثيرا في نقده على هذه الناحية بالضبط، أعني فقدان التنجيم لعنصر الاستدلال، وابتنائه على التقليد والتسليم للأسلاف[١].

ويقول الخطيب عن بعض من نقد التنجيم: «علم النجوم لا يثبت في القياس، ولا يصح عند الاحتجاج، وأصله: أوضاع مستحسنة، وأمور اصطلاحية، قال: وإلا فبأي قياس أوجب قسمة البروج الاثني عشر على الكواكب السبعة، وكيف صار لكل واحد من الكواكب الخمسة بيتان بيتان، وللنيرين بيت بيت، وبأية حجة وجب أن يكون الجدي والدلو بيتي زحل دون سائر البيوت الاثني عشر، ولم صار القوس والحوت بيتي المشترى دون غيرهما»[٢].

ومن قواعدهم التي لا دليل عليها: تقسيمهم الأيام إلى سعود ونحوس. وقولهم إن برودة الأرض من فعل زحل، وسخونتها أثر المريخ. وكذا ربطهم بين العناصر الأربعة والأبراج، وتقسيمهم لهذه إلى ليلية ونهارية، ذكور وإناث، وكلامهم في المنازل وخصائصها. .ونحو ذلك مما تخيلوه وتوهموه، كما قال ابن سينا[٣].

ولذلك يقول عيسى أبو القاسم: إن ما يقوله أهل التنجيم لا دليل عليه من طريق الحس، ولا من كتاب الله، ولا من سنة رسوله، ولا ضرورة تدعو إلى القول به، ولا هو أولي في المعقول. . .وهذه هي الطرق التي تثبت بها الموجودات وتعلم بها حقائق الأشياء[٤].

فدليل بطليموس إذن تحكم فاسد، لا يثبت شيئا من دعاوي التنجيم[٥]. لكن المنجمين ـ وهم الذين شعروا بضعف احتجاج بطليموس ـ قالوا إن التنجيم ثبت بالتجربة:

---

(١) راجع : A.F. Mehren: Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p 8,11,14

(٢) القول في علم النجوم، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٣) Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p 8 à 15.

(٤) رسالته في التنجيم التي نقلها ابن القيم في مفتاح دار السعادة، ص ٤٦٩.

(٥) راجع: رسالة عيسى، ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩، ٤٧٢. مفتاح دار السعادة، ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧. كشف الظنون، ٢/ ١٩٣١.

هل التنجيم ثمرة تجارب متطاولة في الزمان؟

قالوا إن قواعد التنجيم قررتها تجارب كثيرة على مدى آلاف السنين، تجارب قائمة على الملاحظة والاستنتاج، وتسجيل مختلف أنواع القرانات والتقابلات بين الكواكب وسائر أوضاعها، وملاحظة الطقس واختلافه، ودراسة آثار ذلك على الناس، على اختلاف أعراقهم، ثم تسجيل هذا كله وضبطه. . .وإن هذا العمل الذي كان يوميا سمح بالمقارنة بين هذه الحسابات، والوصول إلى القوانين النجومية التي بين أيدينا اليوم[١].

والرد على هذا الكلام من وجوه:

١ ـ يقال لهم: ما الفرق بين من قال الدليل على بطلان أحكام النجوم، أنا امتحنا مواليد صححنا طوالعها ومسائل تفقدنا أحوالها فوجدناها جميعا باطلة، ولم يصح الحكم في شيء منها. فكما تدعون استنادكم إلى تجارب ـ ماضية أو حاضرة ـ لتصحيح التنجيم، كذلك لغيركم أن يستند أيضا إلى تجارب يزعم أنها أبطلت ـ أو تبطل ـ فنكم هذا[٢].

ثم ليس صحيحاً أن ظاهرة بشرية كالتنجيم، لمجرد قدمها وكثرة من آمن بها في الأمم تعتبر صحيحة[٣].

٢ ـ إن هذه التجارب المزعومة لا أثر لها في التاريخ إطلاقاً. لا في الآثار القائمة، ولا في الوثائق، ولا في الكتب الشرقية أو اليونانية[٤]. . .وعمل بمثل هذا الحجم لا يمكن أن يندثر ولا يترك أي آثار أو علامات عليه. وقد رأينا أن أقدم طالع فلكي نعرفه يعود إلى سنة ٤١٩ قبل الميلاد.

٣ ـ لا يمكن التعويل على التجربة في شأن مثل التنجيم. وذلك لأن وضعاً محدداً للأفلاك في اقتراناتها وعلاقاتها بعضها مع بعض، وحركاتها واتجاهاتها. . .لا يتكرر بذاته إلا في كل مدة تصل إلى آلاف من السنين، والاعتماد على التجارب هنا أمر متعذر[٥].

---

(١) انظر: رسالة عيسى، ص ٥٠٥. مفتاح دار السعادة، ص ٤٥٠ L'astrologie, p 59.

(٢) رسالة عيسى في التنجيم، ص ٥٠٥.

(٣) راجع: مفتاح دار السعادة ص ٥٤٨.

(٤) انظر: L'astrologie, p 59 - 60

(٥) مفتاح دار السعادة، ص ٤٥٤.

يقول ابن حزم: «التجربة لا تصح إلا بتكرر كثير موثوق بدوامه تضطر النفوس إلى الإقرار به، كاضطرارنا إلى الإقرار بأن الإنسان إن بقي ثلاث ساعات تحت الماء مات، وإن أدخل يده في النار احترق. ولا يمكن هذا في القضاء بالنجوم، لأن النصب الدالة عندهم على الكائنات لا تعود إلا في عشرات الآلاف من السنين لا سبيل إلى أن تصح فيها ولا إلى أن تبقى دورة تراعي تكرار تلك الأدوار، وهذا برهان مقطوع به على بطلان دعواهم في صحة القضاء بدلائل النجوم»[١].

ويقول ابن خلدون في المنجمين: «المتقدمون منهم يرون أن معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة، وهو أمر تقصر الأعمار كلها لو اجتمعت عن تحصيله، إذ التجربة إنما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم أو الظن، وأدوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره إلى آماد وأحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من أعمار العالم.»[٢]

فمثلا كان طالع البشرية طيلة ألفي عام التي مضت هو برج الحوت، ومنذ سنة ٢٠٠٠م أصبح طالعها هو برج الدلو[٣]، فانظر كم يلزم من ألوف السنين لكي تعود الإنسانية إلى برج الحوت.

نتائج التنجيم أبداً تخمينية:

ولذلك ميز بطليموس بين علم الهيئة والفلك، ونتائجه يقينية، لصحة مقدماته، وبين التنجيم الذي اعتبره من العلوم المبنية على التخمين والتقريب؛ فلذلك نتائجها ظنية واحتمالية فقط[٤]. فهذا أعلى ما قد يوجد في التنجيم، ولا مطمع في الوصول إلى نتائج مؤكدة يطمأن إلى مثلها، قال ابن خلدون: «إذا حصل العلم بالقوى النجومية على سداده ولم تعترضه آفة كان أقصى ما يمكن استنتاجه تخمين وحدس، فلا علم ولا يقين»[٥].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٥/ ١٤٩.

(٢) المقدمة ، ص ٤٠٥.

(٣) Michaël Delmar: Verseau (horoscope 1995), p11. La fausse science, p109.

(٤) راجع : Tétrabible, p 5,12

(٥) المقدمة، ص ٤٠٦. وانظر في هذه المسألة: القول في علم النجوم، ص ٢١٩. مفتاح دار السعادة، ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥.

إجماع الفلكيين على رد التنجيم:

يقول كوديرك: إن آلاف علماء الفلك في العالم، الذين يعرفون السماء أكثر من غيرهم والذين يحرصون على اكتشاف الجديد، لا يؤمنون إطلاقا بالتنجيم. ويبالغ كوديرك في تقرير هذه الحقيقة حتى يقول: لا يوجد اليوم فلكي واحد، صغير أو كبير، يؤمن بالتنجيم(١).

إن هذا «الإجماع السكوتي» هام وواضح، لدرجة أنه يزعج المنجمين كثيراً، ولا يذكرون لدحضه غير كبلر، وهو إن اشتغل بالتنجيم، فعلى سبيل الاسترزاق والعيش، لا إيمانا به.

وقد عرضت كثير من البحوث ـ التي استهدفت إثبات التنجيم ـ أمام المؤسسة الأمريكية للجمعيات العلمية لإقرارها، لكنها لم تجد فيها شيئا يستحق صفة العلم.

وعرضت أخرى أمام اللجنة البلجيكية لدراسة «الظواهر التي تعرف بأنها «غير عادية»، فردتها جميعا(٢).

وهذه بعض نتائج وتصريحات مؤتمر أحد أهم الجمعيات الدولية لعلم الفلك(٣):

١ ـ إن التنجيم خليط من الطيرة والشعوذة والتجارة، ولا حقيقة له.

٢ ـ ورغم اعترافنا بوجود بعض المشتغلين بالتنجيم لا يدعون التنبؤ بالمستقبل، ويقتصرون على القول إن أثر الكواكب هو من جملة آثار كثيرة تحدد حياة الإنسان، كالبيئة والإراثة، وليس بالضرورة هو الأثر الحاسم من بينها... رغم ذلك نقول إن هؤلاء لم يقدموا الدليل العلمي الكافي على صحة هذا التنجيم المتواضع.

٣ ـ إن التنجيم هو مجموعة قواعد لم تبن على أي دليل(٤).

---

(١) L'astrologie, p 52 هذا الكلام من كوديرك شديد، لكن مما يشفع له فيه أنه هو نفسه فلكي، فلعله يدري ما يقول.

(٢) L'astrologie, p 77 - 78

(٣) الجمعية هي : . Astronomische Geslischaft والمؤتمر المذكور انعقد سنة ١٩٤٩، ببون، عاصمة ألمانيا الغربية سابقا.

(٤) انظر: .L'astrologie, p 53,76

والخلاصة أن التنجيم نسق يؤخذ كله باعتباره مجموعة قواعد مسلمة، لا تناقش، أو يترك جملة. ولا دخل للاستدلال في هذا الموضوع بتاتا.

كثرة اختلاف المنجمين:

يسهل على أي واحد أن يلاحظ هذا الاختلاف، بمجرد أن يقارن بين كتابين أو أكثر في التنجيم، لمؤلفين مختلفين، وهو اختلاف قديم، ولا يزال مستمراً. يقول أبو القاسم عيسى: «اختلف رؤساؤهم... في الحدود وغيرها، وتضادوا في المواضع التي يأخذون منها دليلهم..»[١].

وهذا الخلاف يتجاوز المسائل الجزئية، فيطال حتى المفاهيم الأساسية للتنجيم، كمفهوم المنازل[٢]. ولذلك فإن ما قدمته للقارئ في « فصل مبادئ التنجيم» هو مجرد صورة تقريبية لفن غير واضح المعالم، ولا محدد الأصول والقواعد.. بحيث لو أنك قارنت ما عرضته في هذا الفصل مع كتاب آخر في التنجيم، لوجدت اختلافاً كثيراً. وليس ذلك من عندي، بل هو بسبب كثرة اختلاف أهل التنجيم، حتى إنني ـ في وصف خصائص المنازل مثلا ـ كنت أحيانا أضطر إلى اختيار خصائص دون أخرى تحكماً فقط واتباعاً لما يقوله منجم دون آخر.

ويبلغ الأمر إلى أن يصير لكل منجم تنجيمه الخاص، فيستقل بقواعد وآراء وبتفسيرات وتأويلات، يخالف بذلك كله غيره من المنجمين. ولذلك حين تقدم المعلومات الضرورية لوضع طالع فلكي، لعدد من المنجمين، فلا عجب أن تتلقى أجوبة مختلفة بقدر عدد هؤلاء. ثم إن جانباً كبيراً من التنجيم متروك لخيال المنجم وتخمينه، بحيث يغلب على هذا الفن التحكم، والقضاء بالاستناد إلى محض البداء[٣].

يقول ابن القيم: «اختلفوا اختلافاً شديداً في الواحدة من مسائل هذا العلم، فإن أقوالهم في حدود الكواكب كثيرة مختلفة، وليس مع أحد منهم شبهة ولا خيال، فضلا عن حجة واستدلال. ثم إن كثيرا منهم ربما أخذوا واحداً من تلك

---

(١) رسالته في التنجيم التي أوردها ابن القيم في مفتاح دار السعادة، ص ٤٧١.

(٢) L'astrologie, p22. Principes d'astrologie scientifique, p 146 - 147

(٣) L'astrologie, p 68.

الأقوال من غير بصيرة، بل بمجرد التشهي . . . أقوالهم متناقضة، فإن منهم من يقول كون زحل في بيت المال دليل الفقر، ومنهم من يقول يدل على وجدان كنز. وهذا العلم مع أنه تقليد محض، فليس أيضا تقليداً منتظماً، لأن لكل قوم فيه مذهباً، ولكل طائفة فيه مقالة، فللبابليين فيه مذهب، وللفرس مذهب آخر، وللهند مذهب، وللصين مذهب رابع. والأقوال إذا تعارضت وتعذر الترجيح كان دليلاً على فسادها وبطلانها»[١].

على أن الاختلاف في الشيء من الأمور ـ عندي ـ لا يدل بمجرده على فساده وبطلانه، ولهذا لا أميل إلى استعمال هذا الدليل، أي الاحتجاج على فساد مذهب ـ أو عقيدة أو فكرة ـ باختلاف أصحابه. ولو طردنا هذا الاستدلال لبطل كل شيء، فإن الذي اتفق عليه البشر قليل إلى جانب ما اختلفوا فيه. وما من أهل بلد أو دين أو مذهب إلا واختلفوا: اليهود والنصارى والمسلمون. . . جميعهم اختلفوا. خصوصاً وأن المنجمين اليوم صححوا كثيراً من أخطاء أسلافهم وتجاوزوها. وإنما هذا الدليل قد ينفع إذا بينا أن هذا الاختلاف أتى من حيث إن التنجيم لا يشتمل على قواعد واضحة ومحكمة، وعلى منهج سليم لاستنباط المعرفة. لكن هذا شيء يرجع إلى النقد الأول، أعني مشكلة غياب الدليل في هذا الفن. ولذلك قلت إن هذه المشكلة هي أهم نواقص التنجيم وأخطرها.

إذن الأولى ألا نجعل من اختلاف المنجمين دليلاً مستقلاً على فساد مهنتهم، بل أثراً ونتيجة لفقدان التنجيم لأصول العلم، ولو في حدودها الدنيا. فيكون دليلاً تبعيًّا، لا بالأصالة. والله تعالى أعلم.

عجز التنجيم عن تفسير كيفية تأثير الكوكب:

وقالوا في ذلك كلاما مختلفاً ومجملاً، فقيل إن الكواكب تفعل بطبائعها، وقيل ليس ذلك فعلاً لها، لكنها تدل عليه بطبائعها. وقيل تفعل في البعض بالعرض، وفي البعض الآخر بالذات. وقيل بل هي مختارة تفعل بإرادتها لا بطبعها، إلا أن الكوكب السعد منها لا يختار إلا الخير، والنحس لا يختار إلا الشر[٢].

---

(١) مفتاح دار السعادة، ص ٤٤٩. وانظر في بعض مسائل الخلاف: القول في علم النجوم، ص ٢٢٢ فما بعدها.

(٢) رسالة عيسى بن علي في التنجيم، ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠.

وقال آخرون ـ وهم الأقرب إلى التوحيد ـ الكواكب دالة على السعد والنحس، بعض أجرامها وبعض أجزائها يدل على الخير، وبعضها يدل على الشر، وهذا الارتباط بين الخير والشر والسعد والنحس هو ارتباط المدلولات بأدلتها، لا ارتباط المعلولات بعللها[١]. فهؤلاء أضافوا التأثير إلى الباري تعالى، وجعلوا حركات الكواكب علامات فقط. وهذا مذهب وإن لم يقم عليه دليل، إلا أنه واضح في نفسه..

أما غيرهم، فسائر ما قدموه من كيفيات تأثير النجوم، لا دليل عليه أولا، ولا يبين لنا شيئا ثانياً. إذ كيف تؤثر الكواكب بطبائعها، أو بإراداتها، أو بذواتها أو أعراضها...؟

وقد حاول الكندي أن يفسر هذا التأثير، فقدم نظرية أصيلة، هي نظرية الإشعاعات، فكل نجم يرسل أشعة خاصة به، وتلاقي أشعة الكواكب يعطي أحوالاً متعددة. وكل شيء في الكون يرسل أشعة، بما في ذلك دماغ الإنسان، وصوته...[٢].

والمنجمون المعاصرون أخذوا هذه الفكرة وما في معناها، وقالوا إن لكل كوكب حقلاً خاصاً من الموجات الفيزيائية Ondes التي تمتد حتى الأرض، فتؤثر على الإنسان.

وهذا حديث عام وغير دقيق. وإنما الثابت بالعلم الحديث من آثار الكواكب على الأرض ما يلي:

أ ـ أثر الجاذبية:

١ ـ تفاعل الأرض والكون كله هو الذي يحدد كتلة الأرض وكتلة أجزائها.

٢ ـ تفاعل الأرض والشمس هو الذي يضبط حركة الأرض حول الشمس، وما لذلك من آثار حول اختلاف الفصول والليل والنهار.

٣ ـ تفاعل القمر والشمس مسؤول عن مد البحار وجزرها، وذلك محسوب بدقة منذ زمن نيوتن ولابلاص.

---

(١) رسالة عيسى بن علي في التنجيم، ص ٤٧٠ ـ ٤٧١.

(٢) Encyclopaedia Universalis, article astrologie, 3/289.

ب ـ آثار الأشعة والنور:

١ ـ الأشعة التي يعكسها القمر ضعيفة. ولم يثبت في علم الأرصاد الجوية أن لتنقل القمر في المنازل أثرا على طقس الأرض.

٢ ـ أشعة الشمس هي مصدر الطاقة الأولى على الأرض. وهي التي تتسبب في حركة الكتل الهوائية، وحركة الماء في المحيطات، وذلك بتغييرها لدرجات الحرارة.

٣ ـ تغيرات سطح الشمس، بظهور البقع الشمسية واختفائها لها دور في تبدلات الطقس، وفي ظهور بعض الأعاصير، وتوجيه التيارات البحرية.

٤ ـ ليس للكواكب الأخرى ـ في مجموعتنا الشمسية ـ أي أشعة معتبرة، خصوصاً أنها بعيدة جداً عنا[١].

٥ ـ أما أشعة النجوم التي تقع خارج مجموعتنا الشمسية فضعيفة جدا، بحيث ليس لها أي اعتبار (أضعف ألف مرة من نور القمر).

هذه هي الآثار الوحيدة التي أثبت العلم وجودها، وبين حدودها، ودرسها، وعدا ذلك مجرد أوهام وتخمينات.

فالحاصل إذن أنه ليس لأهل التنجيم تفسير ولا تعليل لكيفية تأثير النجوم[٢].

طبائع الأبراج، وحقيقتها:

يظهر لي ـ من خلال دراستي لموضوع التنجيم ـ أن أحد أهم الأسباب في انتشاره بين الناس، وميل الكثير منهم إلى تصديقه والاعتقاد بصدق بعض أسسه ـ على الأقل ـ، هو مسألة طبائع الأبراج وخصائصها.

وأنت إذا أخذت كتاباً في التنجيم، فيه حديث مفصل عن الطبائع، فستشعر في ـ الغالب ـ بأن قسطاً من الصواب يوجد في هذا الحديث. فهذا مجرب، ورأيت هذا الشعور عند كثيرين ممن قرأوا عن أبراجهم.

وسأتناول في حديثي الآن ناحيتين في هذا الموضوع: الأولى تخص تصنيف

---

(١) L'astrologie, p 62 - 63 ـ والنور الخاص بهذه الكواكب هو أشعة تحت الحمراء، وهي ضعيفة بمئات المرات مقارنة مع أشعة الشمس من النوع نفسه.

(٢) انظر: L'occultisme devant la science, p 104 - 105

التنجيم لطبائع الناس بحسب أبراجهم. والثانية أحاول فيها أن أفسر هذا الشعور الذي أشرت إليه.

هل يصح كلام التنجيم في الطبائع؟

كان يظهر لي ـ في بداية اتصالي بالموضوع ـ أن بيد المنجمين ـ لو أرادوا تأكيد علمهم وإخراس منتقديهم ـ طريقة سهلة لذلك: فهم لو قاموا بدراسة استقرائية لبضع مئات ـ أو آلاف ـ من الناس، من العوام أو من الشخصيات التاريخية والمعاصرة المشهورة، فبحثوا في صفاتهم وأمزجتهم وأخلاقهم وصحتهم... وما أمكنهم معرفته من شؤون حياتهم. .لو فعلوا ذلك، وبينوا الخصائص المشتركة لكل مجموعة على حدة، وأن الذي يجمع بينها هو اتحاد البرج... لكان ذلك دليلاً قوياً يستنصرون به على من خالفهم.

هكذا بدا لي الأمر في الوهلة الأولى، قبل أن أعرف أن أسلوب الإحصاء والاستقراء لا يخدم التنجيم بقدر ما ينفي دعاويه حول الطبائع والاستعدادات العقلية والنفسية، والميول المهنية والفنية. .لكل برج على حدة[١].

يعتبر التنجيم أن من أهم خصائص مولود برج الميزان هو استعداداته الفنية العالية، وقد قام الباحث فرانسوورث بدراسة تواريخ ازدياد أكثر من ألفي فنان وموسيقار ورسام، فوجد أن هؤلاء ينتمون إلى كل الأبراج، وولدوا في أزمنة متفاوتة على مدار السنة كلها، بل وجد الباحث أن عدد مواليد برج الميزان بين هؤلاء الفنانين هو أقل من المتوسط العام المفروض أن يكون له[٢].

ومن جهته قام بوك[٣] بدراسة تواريخ ازدياد العلماء الأمريكيين، وذلك بالاعتماد على الوثائق المسجلة للمعلومات الأساسية عن هؤلاء العلماء، وهي محفوظة في مركز خاص، فلاحظ أن توزيع هذه التواريخ عشوائي، ولا ينفرد برج من الأبراج الموصوفة بالعلم والمعرفة بعدد أكبر من الولادات.

---

(١) راجع مثالا مفصلا لهذا الطريق في : L'astrologie, p 83 à 89.

(٢) L'astrologie, p 80 ـ ٨١ والباحث هو . Fransworth

(٣) Bart J. Bok فلكي سابق بجامعة هارفرد، وكان يشغل منصب رئيس لجنة الدراسات للتجمع الأمريكي للجمعيات العلمية.

أما التغيرات في عدد ولادات هؤلاء العلماء بحسب فصول السنة فهي مثيلة لتغيرات عامة الناس[١]. وكان ينبغي مثلا أن يكون أكثر العلماء من برج الجوزاء، وأن يكون أكثر البحارة من الأبراج المائية، وعلماء الدين من برج المشترى. . . ونحو ذلك.

تفسير الشعور بصدق بعض كلام المنجمين في الطبائع:

وهذا الانطباع العام يحتمل عندي ثلاثة أسباب:

١ ـ إما أن القارئ يلاحظ في السلسلة الطويلة من الخصائص والطبائع ما يظن أنه من أخلاقه ومزاجه، أي أن القارئ ـ وربما بدون شعور منه ـ يمارس عملية انتقاء ضمن ما يقدم له باعتباره خصائص لبرجه.

٢ ـ وإما لأن الطبائع الموصوفة في الأبراج عامةٌ، بحيث يمكن صدقها على حالات مختلفة، كوصف مولود برج ما بالقلق، فالقارئ يمكن أن يقتنع بهذا النعت، لأنه لا يخلو الإنسان العادي من قلق، خصوصاً في عصرنا هذا، الذي يوصف بعصر القلق والاضطراب النفسي. وكذلك وصف برج ما بالذكاء، فكل أحد مقتنع بأنه ذكي، وربما أكثر من غيره، فإذا وجد في التنجيم ما يشبع غروره هذا اعتبر ذلك شهادة يعتز بمثلها، ولا تجد أحداً يرد الوصف التنجيمي للطبائع لأنه يقتضي ذكاءه بينما هو مقتنع بأنه غبي. وكذلك الوصف بالطيبوبة، فعادة ما يرى المرء نفسه طيبا غير شرير. . . وهكذا.

٣ ـ وإما أن القارئ يقتنع بما يقرأ، أي يقنع نفسه بتحديدات التنجيم لصفاته، عن طريق أسلوب الإيحاء الذاتي Autosuggestion.

الجبرية في التنجيم:

إحدى أهم مسلمات التنجيم أن النجوم هي المتصرفة الوحيدة في حياتنا، فهي التي تتحكم في كل شيء من المهد إلى اللحد، وهي التي تحدد أمزجتنا وطبائعنا، وتؤثر في علاقاتنا الاجتماعية، وتوجه شؤون العاطفة والمال والصحة. . .

وهذه الجبرية المطلقة ـ باعتراف بعض المنجمين أنفسهم ـ هي المشكلة

---

(١) انظر: L'astrologie, p 81,82.

الأساسية للتنجيم[١]. ومنهم من حاول التفصي عنها، فقال: نحن من يجعل الكواكب سعوداً أو نحوساً، وذلك بسبب نواقصنا وجهلنا، ومن حقق في نفسه الكمال والحكمة، صار حرًّا تام الحرية[٢]. وقال آخرون إن النجوم لا تجبرنا على ما نعمله، لكنها تحدث في نفوسنا ميلاً لذلك[٣].

ولهذا يقول ابن سينا: لنفترض أن التنجيم علم صحيح، فيم يفيد إذا كان كل شيء يخضع لتأثير النجوم، كما يصرح بذلك المنجمون؟[٤]

وقد تردد هذا النقد إلى عصرنا هذا[٥]. لكن المنجمين يتناقضون مع أنفسهم، فبينما يخبروننا بأن الكواكب قد قدرت كل شيء في حياتنا، وبأن مصائرنا معروفة سلفاً منذ زمن الولادة، إذا بهم يقترحون علينا أن نزورهم ونستشيرهم في مشاكلنا. ألا يعني هذا ـ كما يقول كوديرك ـ أن المستقبل غير محدد سلفا، وأن تأثير النجوم غير ثابت، ما دام المنجم يقترح تغيير مجرى الأشياء، لقاء مبلغ من المال يقدم بين يدي الاستشارة؟[٦]

وقد استنبط بعض العلماء دليلاً طريفاً على إبطال التنجيم من مبدأ الجبرية هذا. يقول ابن حزم: «المشاهدة توجب أننا قادرون على مخالفة أحكامهم متى أخبرونا بها، فلو كانت حقاً وحتماً ما قدر أحد على خلافها، وإذا أمكن خلافها فليست حقا، فصح أنها تخرص كالطرق بالحصى والضرب بالحب، والنظر في الكف والزجر[٧]...». فيمكن دائما تكذيب المنجم، وذلك إذا اختار الإنسان أن يعمل بضد ما يقتضيه طالع النجوم، فهنا أين دلالتها على الغيب، وأين أثرها في توجيه الإنسان والتحكم في حياته.

---

(١) Principes d'astrologie scientifique, p 182.. وراجع في هذا الكتاب الصفحات: ١٤١، ١٤٥، ١٤٦، ١٨١ إلى ١٨٤.

(٢) L'occultisme du zodiaque, p 63. وانظر في هذا الكتاب ص، ٦٠، ٦١.

(٣) Encyclopédie des arts divinatoires, p 34.

(٤) Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p 22.

(٥) انظر مثلا : Couderc: l'astrologie, p 65

(٦) L'astrologie, p 72.

(٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٥/ ١٥٠.

يقول ابن القيم: «لو أن رجلا جلس في دار لها بابان شرقي وغربي فسأل المنجم وقال من أيهما يقتضي الطالع خروجي؟ فإذا قال له المنجم من الشرقي أمكنه تكذيبه والخروج من الغربي وبالعكس. وكذلك السفر في يوم واحد وابتداء البناء وغيره في يوم يعينه له المنجم باقتضاء الطالع له من غير تقدم عنه ولا تأخر، فإنه يمكنه تكذيبه في ذلك أجمع»[١].

وأين دور البيئة والوراثة؟

وبسبب هذا التصور الجبري فإن التنجيم ينفي عمليًا أي دور للوراثة في تشكيل الإنسان، وشخصيته ومزاجه، واستعداداته البدنية، وقدراته الفكرية، وطبيعة صحته ونوع أمراضه. . .وقد انتبه لهذا مفكرون من القدماء، فإن شيشرون يقول: «كيف عزب عن علم المنجمين الأثر الذي تخلفه نطفة الآباء في الأبناء، فالأطفال يأخذون عن آبائهم ملامحهم وعاداتهم»[٢].

واليوم، بفضل ظهور علم الوراثة وتطوره الكبير، فإننا نعرف أشياء كثيرة عن الجينات، وعما تحمله من خصائص الإنسان بدءًا من لون الشعر، وانتهاءًا بالطبع النفسي.

هناك ـ إذن ـ تناقض واضح بين التنجيم وعلم الوراثة[٣].

وكذلك فإن التنجيم ينفي دور البيئة في تشكيل ملامح الفرد، وكما قال شيشرون، فإن «مولد المرء يتأثر بالبيئة المحلية أكثر مما يتأثر بحالة القمر»[٤].

إن علم النفس يعتبر أن السنوات الخمس الأولى هي الأخطر في تشكيل شخصية الإنسان، وضبط ملامحها. وهذا التشكل ثمرة عوامل بيولوجية، من جهة، وعوامل نفسية واجتماعية من البيئة المحيطة بالفرد، خصوصا من الوسط الأسري. . .من جهة أخرى[٥]. ولا محل هنا للكواكب.

---

(١) مفتاح دار السعادة ، ص ٤٥٣.

(٢) علم الغيب في العالم القديم، ص ١٨٧.

(٣) L'astrologie, p 66 - 67

(٤) علم الغيب في العالم القديم، ص ١٨٧.

(٥) D. Lagache : La psychanalyse, p 37 - 38 (التحليل النفسي).

من نقد ابن سينا للتنجيم:

يرى ابن سينا أنه توجد علوم خاطئة ولا أساس لها من الصحة، وينبغي على العالم أن يترفع عن الاشتغال بها، بل حتى عن دحضها ونقدها. لكن كان لابن سينا صديق شوش التنجيم عقله، فكتب له رسالة في إبطال التنجيم[١].

وقد سبق أن أوردت بعض ما في هذه الرسالة من وجوه النقد السينوي. ثم رأيت أن أذكر الباقي هنا استكمالا للموضوع: يعتقد ابن سينا أن كل ما في التنجيم محض خيال وأوهام، ولا حقيقة له، ولا أدلة عليه[٢]. ولا معنى لنسبة الخير والشر إلى الكوكب، لأنه لا وجود للشر المطلق، فهو مجرد مفهوم نسبي، وإلا فكل ما يظن أنه شر هو في الحقيقة يحمل خيرًا[٣]. والأجرام السماوية بسيطة غير مركبة، فمكوناتها لا تختلف فيما بينها، حتى تختلف طبائعها وآثارها[٤].

لكن في نقد ابن سينا شيئا يختلف عن نقد غيره من العلماء كابن القيم والباقلاني[٥].. ونحوهما.. فابن سينا يرى ـ كأكثر الفلاسفة ـ أن الأفلاك كائنات عاقلة ومختارة، فلها عقول وأرواح توجهها، وإرادات بها تكون فاعلة (وفق الفكرة الفلسفية التقليدية: الباري ؟ العقول ؟ الأفلاك ؟الأرض). ولذلك لا شك أن للكواكب آثارًا على الأرض.

لكننا ـ يقول ابن سينا ـ لا نعرف طبيعة هذه العقول والأفلاك، ولا حجمها، ولا أفعالها، ولا أي شيء عنها..بل رأينا أن أشعة الشمس الواحدة، تذيب الشمع، وتصلب الملح.. وهذا معناه أن آثار الكواكب تختلف أيضا باختلاف القابلات الأرضية. كيف السبيل إذن ـ والعقل الإنساني محدود ـ إلى استنباط هذه الآثار شديدة التنوع والاختلاف، والتي تنسب إلى الأفلاك[٦]. فكأن ابن سينا يسلم

---

(١) Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p 6.

(٢) Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p 18.

(٣) Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p9 - 10

(٤) Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p 12.

(٥) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إمام أهل الكلام، و تولى القضاء، توفي ببغداد سنة ٤٠٣هـ. الأعلام، ٧/ ٤٦.

(٦) Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p 19,20 . راجع في فلسفة ابن سينا في موضوع الأفلاك والعقول ونحو ذلك: لباب الإشارات والتنبيهات، ص ١٠٣ إلى ١١٠.

تأثير الكواكب، لكنه يقول ليس بمقدورنا معرفة هذا التأثير ما هو. وهذا كله من آثار الأرسطية ونظرية الفيض، وكلاهما أرضية خصبة لظهور التنجيم، كما رأينا في فصل التاريخ.

ثم يقول ابن سينا: حتى لو سلمنا للمنجمين دعاويهم، فلا سبيل إلى التنبؤ الصحيح والسليم، لأن الأشياء في هذا العالم في تغير دائم، ولا تكاد تستقر على حال، وذلك بسبب تركبها من العناصر الأربعة، التي هي دائمة التحول، من بعضها إلى بعض. فمن يضمن لنا أن الشيء الذي وقع تحت تأثير كوكب ما سيظل كذلك، حتى بعد تغيره وتحول عناصره وخصائصه، بينما يفترض التنجيم الثبات في الأشياء[١].

وبهذا ترى أن للنقد الفلسفي للتنجيم منطلقات وأسباباً خاصة، فيختلف بعض الشيء عن نقد المتكلمين مثلاً[٢]. لكن توجد ردود وانتقادات مشتركة، مثل غياب الدليل في التنجيم، وطابعه الجبري، وعدم تحقق نبوءاته في الواقع. ونحو ذلك مما سبق قبل قليل.

في سوء أحوال كثير من أصحاب التنجيم:

من قديم تساءل بعض الكتاب لم لا يعرف المنجمون مستقبل حياتهم الخاصة، ولا يقدرون أن يتنبئوا بمصائرهم، بل يسرقون أحيانا، ويقتلون... ولا يستطيعون لذلك دفعا[٣]. ونظم بعضهم في ذلك شعراً، فقال:

من لم يكن عالما ماذا يحل به لم يدر من غيره ما بعد يكتسب.

إن الذي ابتدع الأشياء دبرها في الخلق لا فلك يدري ولا قطب[٤]

قال النقاد: قد وجدنا بالتجربة أن المنجمين ومن عمل بنصائحهم، ليسوا أفضل حالا من غيرهم؛ بل من عمل بكلامهم في السعود والنحوس، وفي الإقبال على عمل أو تركه.. تجده دائماً في حالة سيئة من التخبط والقلق[٥].

---

(١) Vues d'Avicenne sur l'astrologie , p 21 - 22

(٢) راجع مثلا :التمهيد، للباقلاني، ص ٦٢ فما بعدها.

(٣) Quelques sciences captivantes, p 205.

(٤) من قصيدة لمحمد بن حبيب الضبي، والبيتان نقلهما الخطيب في القول في علم النجوم، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٥) مفتاح دار السعادة، ص ٤٥١.

ويقول ابن القيم مستشهدا على ذلك: «وانظر ما كان أقوى تعلق بني برمك بالنجوم، حتى في ساعات أكلهم وركوبهم وعامة أفعالهم، وكيف كانت نكبتهم الشنيعة. وانظر حال أبي علي بن مقلة الوزير، وتعظيمه لأحكام النجوم ومراعاته لها أشد المراعاة، ودخوله دارا بناها بطالع زعم الكذابون المفترون أنه طالع سعد لا يرى به في الدار مكروها، فقطعت يده ونكب في آثاره أقبح نكبة نكبها وزير قبله. وقتلى المنجمين أكثر من أن يحصيهم إلا الله عز وجل»[١].

إشكالات في التنجيم معلقة إلى غير أجل:

ومنها على سبيل الاختصار:

اتحاد الطالع واختلاف الآثار:

وهذا من أهم ما انتقد على التنجيم، كيف يكون الطالع واحداً ومشتركاً ومع ذلك تختلف آثاره في الأرض؟ وفي كل يوم يوجد ناس سعداء فرحون وآخرون أشقياء حزينون[٢].

ولذلك يقول ابن القيم: «عند حدوث.. الطالع حدثت أنواع من الحيوانات وأنواع من النبات وأنواع من الجمادات، فلو كان ذلك الطالع يوجب آثاراً مخصوصة لوجب اشتراك كل الأشياء التي حدثت في عالمنا هذا في ذلك الوقت في تلك الآثار، وحيث لم يكن الأمر كذلك علمنا أن القول بتأثير الطالع باطل»[٣].

وكثير من أحوال الناس سكان الأقاليم المتنوعة تختلف رغم استوائهم في أوقات الولادة[٤].

---

(١) مفتاح دار السعادة، ص٤٦٣. وبنوبرمك عائلة أصلها فارسي، كانوا وزراء لهارون الرشيد، عرفوا في حكمه العز والصولة، ثم انقلبت أحوالهم. وهي مشهورة في التاريخ، فراجع كتب التواريخ إن شئت. وقصتهم يضرب بها المثل في تغير أحوال الدنيا.

(٢) Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p 15.

(٣) مفتاح دار السعادة ، ص ٤٥٠.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، ٥/ ١٥٠.

مثال الحرب والكوارث:

نحن نرى ـ كما يقول شيشرون ـ أن معركة واحدة يقتل فيها بشر كثير، فهل ولدوا كلهم في ظروف تنجيمية واحدة[١]. وكذلك الأمر في سائر الكوارث من الفيضان والنار والإعصار والغرق...

ولابن القيم تفصيل جيد في هذه المسألة، قال:

«إنا نشاهد عالماً كثيراً يقتلون في ساعة واحدة في حرب، وخلقاً يغرقون في ساعة واحدة، مع القطع باختلاف طوالعهم واقتضائها عندكم أحوالا مختلفة، ولو كان للطوالع تأثير في هذا لامتنع عند اختلافها الاشتراك في ذلك. ولا ينفعكم جواب من انتصر لكم بأن الطوالع قد يكون بعضها أقوى من بعض، ولعل طالع الوقت أقوى من طالع الأصل وكان الحكم له، فإن طالع الوقت لعله اقتضى هلاكاً أو غرقاً عاماً وهو أقوى من طالع الأصل، فكان التأثير له. لأنا نقول هذا بعينه يبطل عليكم طالع المولود والأصل، ويحيل القول بتأثيره واعتباره جملة، فإن الطوالع بعده مختلفة كثيرة، وأصل بعضها أو أكثرها أقوى منه فيكون الحكم بموجبه باطلاً إذ لا أمان لكم من اقتضاء الطوالع بعده ضد ما اقتضاه وحينئذ فلا يفيد اعتباره شيئا... ﴿ثُمَّ﴾ إنا نرى الجيشين العظيمين والحزبين المتقابلين يقتتلان ويختصمان وقد أخذ طالع الوقت لكل منهما، ومع هذا فالمنصور والغالب أحدهما مع أن الطالع واحد. ولا ينفعكم في هذا جواب من انتصر لكم بأنه لا مانع من القول بخطأ الأخذ للطالع في الحساب والحكم، فإنه لو أخذ لهما أي طالع كان لم يكن الغالب إلا أحدهما، حتى لو كان الطالع قطعاً لا يتصور فيه الغلط لم يكن بد من كون أحدهما غالباً والآخر مغلوباً. وهذا يبطل مذهب الأحكام بلا ريب»[٢].

مثال التوائم:

لقد شكلت حالة التوائم ـ خصوصا الحقيقيين ـ تحدياً واضحاً للتنجيم. فهما ولدا في نفس اليوم، بل ـ في أحيان كثيرة ـ في نفس الساعة، وليس بينهما إلا زمن

---

(١) علم الغيب في العالم القديم، ص ١٨٨.

(٢) مفتاح دار السعادة، ص ٤٥١. طالع الأصل هو الطالع الفلكي الذي يتبنى على زمن الولادة، أما طالع الوقت فهو الحساب التنجيمي لأوضاع الفلك في زمن آخر، كأن يقول الملك لمنجمه: خذ لي طالع الوقت الآن، لأعرف هل سأخوض الحرب أم لا ، أو سأبني المدينة أم لا..

يسير، مع اشتراكهما في الأبوين. ومع ذلك فحياتهما تختلف، ومستقبلهما ليس واحداً، وهذه ملاحظة قديمة[١]. يقول ديوجانس الرواقي: «إن التوائم يتشابهون في المظهر، ولكنهم يختلفون عادة في مجرى الحياة، وفي الحظ الذي يصادفونه»[٢]. وكذلك كانت هذه الملاحظة إحدى أسباب انصراف أغسطين عن التنجيم بعد أن كان به شغوفا[٣].

وقد رأيت بطليموس ذكر التوائم في كتابه، لكن لا ليرفع هذا الاعتراض على التنجيم، بل ليفسر اختلاف التوائم في عددها وجنسها، وبالاستناد على خصائص الكواكب وآثارها![٤]

هل العبرة بزمن الإخصاب أم بوقت الولادة:

وقد اعتبر قوم الزمن الأول، وقالوا: «الطالع المعتبر هو طالع مسقط النطفة لا طالع الولادة. وذلك لأن عند مسقط النطفة يأخذ ذلك الشخص في التكون والتولد، فأما عند الولادة فالشخص قد تم تكونه وحدوثه، ولا حادث في هذا الوقت إلا انتقاله من مكان إلى مكان آخر. فثبت أنه لو كان للطالع اعتبار لوجب أن يكون المعتبر هو طالع مسقط النطفة لا طالع الولادة»[٥].

ولذلك فطالع الولادة مستعار فقط، والطالع الحقيقي هو عند الإخصاب[٦].

وقال آخرون: هذا قد يصح، لكن لا سبيل لنا إلى معرفة وقت الإخصاب متى كان، فلما تعذر ذلك صرنا إلى الاعتماد على زمن الولادة.

لكن حتى لو أخذنا بطالع الولادة، فإنه من العسير ضبطه، لأن بعض الكواكب تسير بسرعة هائلة، وفي ثوان فقط تكون قد انتقلت من مكان إلى مكان. فمتى

---

(١) انظر : L'astrologie, p 67.

(٢) علم الغيب في العالم القديم، ص ١٨٤ Diogène Laërce . كاتب إغريقي، وأول مؤرخ للفلسفة اليونانية، عاش في القرن الثاني للميلاد، وهو غير ديوجانس الكلبي، الفيلسوف المتوفى سنة ٣٢٧ ق.م.

(٣) Augustin: Confessions, livre VII, p 173. _ Saint

(٤) Tétrabible, p 138 - 139

(٥) مفتاح دار السعادة، ص ٤٥٠. وانظر: l'Astrologie, p 66

(٦) مفتاح دار السعادة ، ص ٥٠٩.

يمكن أخذ الطالع، في خروج بعض رأس الجنين، أو في خروجه كله، أم في خروج بعضه ولو طال خروج جميعه..؟

وما زال الإشكال في الزمن المعتبر في الطالع قائما إلى اليوم، عند أصحاب التنجيم.

الكواكب المكتشفة حديثاً:

رأينا أن القدماء قالوا بوجود سبعة كواكب، وهي كلها مشاهدة بالعين المجردة. وعلى أساس أن الكواكب سبعة قام التنجيم. وقد قال ابن القيم ـ منذ حوالي ثمانية قرون ـ : حتى لو سلمنا بآثار الكواكب على الأرض، فإن معرفة جميع المؤثرات الفلكية ممتنعة لوجوه: أحدها أنه لا سبيل إلى معرفة الكواكب إلا بواسطة القوى الباصرة، والمرئي إذا كان صغيراً أو في غاية البعد من الرائي، فإنه يتعذر رؤيته..فلعل في الفلك الأعظم وفي فلك الثوابت كواكب لا نعرفها لأننا لا نراها..[١].

وفعلا فقد اكتشف العلم ـ في العصر الحديث ـ أن في مجموعتنا الشمسية كواكب أخرى لم تكن معروفة من قبل. وهذا ما سبب اضطراباً كبيراً في التنجيم[٢]، لأن وجود كواكب كانت مجهولة في الماضي معناه أن كل حسابات المنجمين وعلومهم خاطئة، بما أنها أغفلت تأثير مجموع الكواكب.

وهذه الكواكب هي: أورانوس وقد اكتشف سنة ١٧٨١. ونبتون، وهو غير مرئي للعين المجردة، اكتشف سنة ١٨٤٦. وبلوتون، أحدثها اكتشافا، سنة ١٩٣٠[٣].

وللمنجمين طرق مختلفة في كيفية التعامل مع هذه المفاجأة غير السعيدة:

---

(١) مفتاح دار السعادة، ص ٤٤٧.

(٢) L'astrologie, p 15 - 16 Quelques sciences captivantes, p 191.

(٣) الكوكب الأول Uranus، أكبر من الأرض بكثير، وهو السابع في ترتيب الكواكب الدائرة حول الشمس. وقد وصلت إليه المركبة الفضائية الأمريكية «مسافر ٢» سنة ١٩٨٦، وقدمت عنه معلومات كثيرة. أما نبتون Neptune، فهو الثامن في الترتيب، وحجمه أضعاف الأرض، وقد وصلت إليه أيضا مركبة «مسافر٢». أما بلوتون الأبعد، فهو كوكب صغير، حوالي ربع حجم القمر. عن موسوعة . P. Robert

١ ـ الحفاظ على التصنيف القديم. فبابوس ـ مثلا ـ يعتبر أن إضافة تأثير مستقل لهذه الكواكب الجديدة.. خطأ كبير. لأنا لو فعلنا ذلك، لزم أيضا أن نحسب تأثير النجيمات والشهب، وهي كثيرة في الفضاء، وهذا يجعل من التنجيم حسابا جد معقد، ويتعذر أن نضع طالعا فلكيا في هذه الحال.

ما العمل إذن؟ الرأي ـ عند بابوس ـ أن نعتبر كوكبي أورانوس ونبتون جزءا من مجال كوكب زحل، يدعمان تأثيره، كما تحسب النيازك التي تسبح بين المشترى والمريخ على مجال تأثير المشترى. والقدماء قسموا السماء إلى سبع مجالات للتأثير. وبهذا لا تتغير الحسابات[١].

٢ ـ الرأي الآخر إدماج الكواكب الجديدة في التنجيم. فهي الآن عشرة. وقد وضع المنجمون لكل كوكب جديد خصائص وطبائع مستقلة ومنازل وتأثيرات محددة، وأصبحوا يتكلمون عن كوكب أورانوس كما يتكلمون عن المشترى وزحل[٢].

ولا حاجة إلى التنبيه على أننا لا نعرف كيف نسب هؤلاء إلى الكواكب الجديدة ما نسبوه إليها.

٣ ـ ومن المنجمين من يقول: إن آثار كوكب بلوتون ما تزال مجهولة وغير معروفة بدقة، بسبب أن الكوكب اكتشف منذ فترة قصيرة[٣]. فهذا توقف، أو تهرب.

ولست أدري كيف سيصلون إلى تحديد طبائع هذا الكوكب، وماذا يمكن أن يفعله الزمان لصالح هذا الموضوع.

هذا عن كواكب مجموعتنا الشمسية. أما خارجها فالنجوم بالملايين، فلم لا تؤخذ هي أيضا بعين الاعتبار في التأثير على الحياة الإنسانية. وقد لاحظ ابن سينا ـ من قديم ـ أن في الكون نجوما وكواكب وأجراما كثيرة متفاوتة الحجم، غير الكواكب السبعة، والمنجمون أهملوها لغير سبب[٤].

---

(١) Traité élémentaire d'occultisme et d'astrologie, p 246 - 247

(٢) انظر مثلا F. Maisonblanche: Poissons, p 106 - 107، p208 à 215:

Belline: Encyclopédie des arts divinatoires, p 38 - 39

(٣) Encyclopédie des arts divinatoires, p 39.

(٤) Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p 19 - 20

ردود وانتقادات مختلفة:

والبداية بأهمها:

١ ـ ظاهرة مبادرة الاعتداليين :Précession des équinoxes وسبب هذه الظاهرة أن حركة الشمس تتأخر قليلا كل سنة، فأحدث هذا تباينا بين منطقة البروج ونجومها. وقد لاحظ القدماء أن في المنطقة الخامسة من فلك البروج توجد مجموعات من الكواكب، شبهوها بالأسد، ربما لأن ترتيبها كان يشبه نوعا ما هذا الحيوان. ثم اعتبروا أن من ولد تحت هذه الكواكب فإنه يرث صفات الأسد، من الشجاعة، والكبرياء، والسخاء... لكن منطقة البروج انتقلت ـ منذ ذلك الزمان إلى اليوم ـ بخانة واحدة، بحيث إن برج الأسد اليوم لم يعد يحتوي على الكواكب الأولى، بل على مجموعة النجوم التي كانت سابقا في برج السرطان. لكن التنجيم إلى اليوم يعتبر أن خصائص برج الأسد تعود إلى مجموعة الكواكب الأولى، رغم أن مولود هذا البرج الآن إنما يولد في ظل نجوم السرطان.

وبهذا يتبين أن التنجيم يضحي الآن بأساسه العام لصالح الحفاظ على الشكل القديم[١].

وهكذا الأمر في سائر الأبراج، فبرج الحمل ـ مثلا ـ لم يعد يحتوي على النجوم الخاصة به، كما كان منذ ألفي سنة، بل هو الآن يحتوي على النجوم الخاصة بالحوت[٢].

٢ ـ لا يمكن وضع طالع فلكي بالنسبة لبعض الشعوب التي تسكن أقصى شمال الكرة الأرضية، كالألسكيين وكثير من الفنلنديين والنرويجيين والسيبريين.. ونحوهم، وذلك لأن دائرة البرج تتطابق مع الأفق، ولا يمر بأي منزلة من المنازل الاثني عشرة[٣].

٣ ـ لو غيرنا نظام التنجيم، فجعلنا خصائص منزلة برج ما لبرج آخر، وقلبنا سائر

---

(١) L'astrologie, p 61 - 62

(٢) راجع : L'astrologie, p 13 - 14

(٣) انظر : L'astrologie, p 66.

الأوضاع التنجيمية، لوجدنا أنه لم يتغير شيء من النتائج والآثار[١]. ولذلك يقول الفارابي: «واعلم أنك لو قلبت أوضاع المنجمين فجعلت السعد نحسا والنحس سعدا والحار باردا والبارد حارا والذكر أنثى والأنثى ذكرا، ثم حكمت لكانت أحكامك من جنس أحكامهم تصيب تارة وتخطئ تارة»[٢].

٤ ـ حتى لو فرضنا أن للأفلاك آثارا في حياتنا عامة، فإنه من المتعذر معرفة هذه الآثار. وذلك لأننا ـ باعتراف أصحاب التنجيم ـ لا نعرف طبائع جميع الكواكب المرئية، بل هم لا يعرفون جميع طبائع الكواكب الثابتة المحسوسة، مع أنها قليلة. ولو فرضنا أن أهل التنجيم حددوا طبائع كل كوكب على حدة، فلا سبيل إلى معرفة نتيجة امتزاج طبائع جميع الكواكب. ولو عرفنا حال هذا الامتزاج أيضا، فما يدرينا أنه كان في حال الأفلاك قبل هذا موانع تمنع من حصول مقتضيات الأشكال الحاصلة في الحال، فيلزم الإحاطة بأوضاع الأفلاك السالفة جميعا[٣].

٥ ـ ومن تخبطاتهم الدالة على فساد صناعتهم ادعاؤهم أن نجم النبي ﷺ كان بالعقرب والمريخ، ونجم أمته كان بالزهرة، بينما جعلوا نجم النصارى بالمشترى، مع قولهم إن المشترى يقتضي العلم والدين، والزهرة تقتضي اللهو واللعب. قال ابن تيمية: «الفلاسفة متفقون كلهم على أنه ما قرع العالم ناموس أعظم من الناموس الذي جاء به محمد ﷺ، وأمته أكمل عقلا ودينا وعلما باتفاق الفلاسفة، حتى فلاسفة اليهود والنصارى، فإنهم لا يرتابون في أن المسلمين أفضل عقلا ودينا... فإذا كان المسلمون... مما يناسب عندهم آثار المشترى، والنصارى أبعد عن ذلك، وأولى باللهو واللعب، وما يناسب عندهم آثار الزهرة: كان ما ذكروه ظاهر الفساد»[٤].

٦ ـ وقد بين تطور علم الفلك أنه لا علاقة بين الكواكب والمعادن، فأغلب الكواكب ـ ومنها الشمس ـ تحتوي على جل الأجسام الأرضية، وفي زحل كتل

---

(١) Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p 13.

(٢) عن مفتاح دار السعادة، ص ٤٩٥.

(٣) مفتاح دار السعادة، ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

(٤) الفتاوى لابن تيمية، ٣٥/ ١٨٧، ١٨٩.

عظيمة من غازات الأمونياك والميثان. . .وهم ينسبون إليه الرصاص، وإلى الزهرة النحاس، وإلى القمر ـ الذي ليس به غير الصخور ـ الفضة. .[١].

٧ ـ ولا معنى لاستنباط طبائع الكواكب من ألوانها التي تبدو لنا، فإن «الدلالة بمجرد اللون على الطبيعة ضعيفة جدا، فإن النورة والنوشادر والزرنيخ والزئبق المصعد والكبريت في غاية البياض، مع أن طبائعها في غاية الحرارة. . .»[٢]. ثم هم لم يلتزموا في هذا الاستنباط طريقة واحدة، فقد اعتبروا المريخ حارا لشبهه بالنار، وهذه المشابهة في الشمس أتم، فيلزم أن تكون حرارة الشمس وسخونتها أقوى من حرارة المريخ، وهم تمسكوا بعكس ذلك[٣].

٨ ـ وإذا كان لازما أن نضيف التأثير إلى النجوم عند الميلاد، فمن باب أولى أن نضيفه إلى الظواهر الأقرب والأقوى، كالرياح والأمطار وتقلبات المناخ[٤].

أخطاء التنجيم:

إن ممارسة لا تنبني على أساس علمي صحيح لا بد أن يظهر عوارها فتنكشف حقيقتها. وأخطاء التنجيم كثيرة، حتى ذهب مثلا: كذب المنجمون ولو صدقوا. يحكي شيشرون أن بعض الكلدانيين تنبئوا لقيصر بطول العمر وعلو المجد، وأنه سيموت في منزله. وهو الذي قتل مبكرا بمجلس الشيوخ[٥].

ولعل من أشهر الأخطاء في تاريخنا الإسلامي ما حدث للخليفة العباسي المعتصم حين تجهز لغزو مدينة عمورية، وكانت في يد الرومان، فحكم المنجمون بأن هذا الوقت الذي اختاره الخليفة للغزو وقت نحس لا يصلح بتاتا، ولذلك فلن يعود منه، وإن رجع كان معلولا خائبا. . .لكن المعتصم مضى في خطته، وفتح المدينة سنة ٢٢٣هـ، وكان فتحا عظيما[٦]. .وقد خلد الشاعر أبو تمام هذه المعركة، واعتراض أهل التنجيم عليها، في قصيدته الشهيرة، التي مطلعها: السيف أصدق أنباء من الكتب.

---

(١) L'occultisme devant la science, p 61.

(٢) رسالة عيسى بن علي في التنجيم التي نقلها صاحب مفتاح دار السعادة، ص ٤٨٠.

(٣) رسالة عيسى بن علي، ص ٤٨٠.

(٤) علم الغيب في العالم القديم، ص ١٨٦.

(٥) علم الغيب، ص ١٨٩.

(٦) القول في علم النجوم، ص ٢٠٠.

ومما جاء فيها في موضوعنا هذا:

والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية أم أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة ... ليست بنبع إذا عدت ولا غرب
عجائبا زعموا الأيام مجفلة ... عنهن في صفر الأصفار أو رجب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة ... إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
وصيروا الأبراج العليا مرتبة ... ما كان منقلبا أو غير منقلب
يقضون بالأمر عنها وهي غافلة ... ما دار في فلك منها وفي قطب
لو بينت قط أمرا قبل موقعه ... لم يخف ما حل بالأوثان والصلب[1]

وقد حاول الكندي ـ وكان يشتغل بالتنجيم ـ أن يعتذر عن أخطاء المنجمين بأن الكتب الأولى المفصلة في هذا الفن ضاعت، ولأنه ما عاد أحد من الناس يفهمها، وما في أيديهم منها مجرد مختصرات مخلة لا تفي بالمقصود[2].

ومن أخطاء المنجمين التي ذكرها ابن القيم أنهم اتفقوا على أن عبيد الله بن زياد سيغلب المختار بن أبي عبيد، فلقيه إبراهيم بن الأشتر وقتل ابن زياد[3].

واتفقوا عند بناء مدينة بغداد سنة ١٤٦هـ أن طالعها يقتضي أن لا يموت بها خليفة، وتأكد ذلك عند بعض الناس لما رأوا الخلفاء: المنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد... ماتوا خارجها، حتى قتل بها الأمين، ثم مات بعده خلفاء كثر فظهر خطؤهم[4].

واتفقوا أيضا في سنة ٢٧٢هـ أنه إن خرج الخليفة المكتفي بالله لمحاربة القرامطة كان هو المغلوب المهزوم، بمقتضى طالع الوقت. لكن المكتفي عزم على الخروج

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام، بشرح أبي الصولي المعروف بالخطيب التبريزي، المتوفى سنة ٣٣٥هـ، ١/ص٤٣ فما بعدها.

(٢) انظر: القول في علم النجوم، ص ٢٠٦ إلى ٢٠٨.

(٣) مفتاح دار السعادة، ص ٤٥٥. عبيد الله كان أميرا على جيش الأمويين، والمختار سياسي طموح لبس ستار الدعوة لآل البيت. وابن الأشتر من قواد المختار. والمعركة كانت سنة ٦٧هـ.

(٤) مفتاح دار السعادة، ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

إليهم فحاربهم وانتصر، وبعدها استرد مصر التي كان القرامطة يتقون بأميرها خمارويه بن طولون. قال ابن القيم: وأمر وزير المكتفي بإحضار رئيس المنجمين وصفعه الصفع الكثير بعد أن وقفه ووبخه على عظيم كذبه وافترائه وتبرأ منه[١].

ومن ذلك أيضا أن جوهر الصقلي لما بنى مدينة القاهرة، أحضر المنجمين، وأمرهم أن يحددوا الساعة المناسبة لوضع أساس المدينة، وأمر البنائين أن لا يضعوا الأساس حتى يقال لهم ضعوه، وأن يكونوا على هيئة من التيقظ والإسراع حتى يوافقوا تلك الساعة السعيدة. فتم ذلك ووضع أساس المدينة تحت طالع كوكب زحل، وسموها بالقاهرة، إشارة إلى الكوكب القاهر. وأجمع المنجمون يومذاك على أن الدعوة الفاطمية قائمة أبدا. وبعد ١٩٣ سنة جاء صلاح الدين الأيوبي، فأنهى الخلافة الفاطمية، وقضى عليها وعلى دعوتها[٢].

وفي سنة ٣٩٥ هـ اتفق المنجمون أيام الحاكم بأمر الله على أن هذه السنة هي التي ينقضي بها بمصر حكم العبيديين ـ أو الفاطميين ـ ، وأن الطالع يحكم للثائر أبي ركوة الأموي بالنصر المبين وأسر الحاكم. فلما دارت المعركة وانتصر الحاكم، كان من أوائل ما فعل أن أمر بإحضار منجمه الأكبر معروف الفكري، وقتله[٣].

وقد كان المنجم أحيانا يدفع حياته ثمنا لخطئه، ولذلك يقول ابن القيم: «وقتلى المنجمين أكثر من يحصيهم إلا الله عز وجل»[٤].

ومن الأخطاء المشهورة أيضا: ما حدث لكاردان الذي زار إنكلترا سنة ١٥٥٢م خصيصا ليضع للملك إدوارد السادس طالعا فلكيا، فتنبأ له بعمر طويل وعافية، لكن الملك مات مريضا وعمره ستة وخمسون سنة. وتوقع موران مرارا لتلميذه الفيلسوف والعالم كاسندي الموت في زمن محدد، ولكنه لم يصب، كما لم يصب في توقعه بموت الملك لويس الثالث عشر[٥].

---

(١) مفتاح دار السعادة ، ص ٤٥٧.

(٢) مفتاح دار السعادة، ص ٤٥٧. جوهر هو القائد العسكري للعبيديين الذي فتح مصر، وأميرهم كان هو المعز.

(٣) مفتاح دار السعادة ، ص٤٥٨. راجع قصة الفكري مع الحاكم في مفتاح دار السعادة، ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩.

(٤) مفتاح دار السعادة، ص ٤٦٣.

(٥) Quelques sciences captivantes, p 204 - 205 وانظر أمثلة أخرى في صفحات ٢٠٦ ـ ٢٠٧، وفي: L'astrologie, p 70,96 à 98

=

وقد ذكر بول أن جميع المنجمين في سنة ١٩٣٨ تنبئوا لأوربا بسلام عميم؛ وحتى حين كانت الحرب قريبة جدا، وعلاماتها واضحة، كما في دجنبر من هذه السنة، قالوا إن الحرب لن تقع[١].

ومن التنبؤات الفاشلة التي حدثت في السنوات القليلة الماضية: تنبؤ المنجم التونسي حسن الشارني بوفاة حكام عرب سنة ١٩٩٨، وهو ما لم يحدث[٢]. ومن تنبؤات هذا الرجل أيضا: وقوع حرب بين الدولة الصهيونية وجيرانها العرب سنة ١٩٩٨ . وتنصيب الأمير البريطاني شارلز ملكا في سنة ١٩٩٨، أو ١٩٩٩، أو ٢٠٠٠[٣]. وتنبؤ عراف كوبي اسمه خوان غاريسيا بموت الرئيس الروسي السابق يلتسن، وهو لا يزال حيا يرزق لحد كتابة هذه السطور. وتنبؤ الأندونيسي بير مادي ساتريو ـ الذي هجر المحاماة إلى التنجيم ـ بأن عام ١٩٩٨ سيكون عام كارثة كونية. أما لورين فقد توقعت أن يخلف رئيس شاب الرئيس الأندونيسي السابق سوهارتو، والذي خلفه فعلا هو شيخ كبير لا يستطيع أن يتمشى بدون مساعدة أحد، اسمه: عبد الرحمن وحيد[٤].

حسبنا هذا القدر، لأنه كما قال ابن القيم لو تتبعنا أحكامهم وقضاياهم الكاذبة التي وقع الأمر بخلافها لقام منها عدة أسفار[٥].

ولا شك أن هذه الأخطاء الكثيرة والمتكررة تساهم في إضعاف التنجيم وزعزعة ثقة الناس فيه. لكن أهم عامل منع التنجيم من أن يكون أكثر قوة وانتشارا مما هو عليه في القرون الأخيرة، هو انهيار النسق الفلكي لبطليموس، والذي كان

= موران هو : Jean ـ Baptiste Morin. أما Pièrre Gassendi (1655) ففيلسوف وعالم فرنسي، رد على ديكارت.

(١) Quelques sciences captivantes, p 213 à 215.

(٢) عن جريدة العلم، عدد ٢٠ أبريل ١٩٩٨.

(٣) جريدة الحياة، ١٠ شتنبر ١٩٩٧، الصفحة الأخيرة. شهرة حسن الشارني جاءت من قبل تنبوئه بموت الأميرة الإنكليزية ديانا. وهو ما كان نشره في الصحيفة الأسبوعية التونسية «الصريح»، (كما في جريدة الحياة). وليس بين يدي نسخة من عدد الصريح لأكون رأيا في الموضوع.

(٤) صحيفة القدس العربي، ليوم ٢١ ـ ١ ـ ١٩٩٨.

(٥) مفتاح دار السعادة، ص ٤٦٣.

أساسا لهذا الفن، إضافة إلى تقدم المعارف والعلوم، وما لذلك من أثر في انتشار الوعي العلمي بين الناس[١].

في تعليل إصابة المنجم:

١ ـ اهتم أغسطين الشاب بهذا السؤال: إذا كان التنجيم فنا فاسدا فكيف نفسر وقوع أشياء بحسب نبؤات المنجمين؟

وفي النهاية اقتنع بتفسير صديقه الشيخ: الصدفة وحدها هي التي تفسر إصابة المنجم، ونحن لكثرة ما نقول أشياء وأشياء، لا بد أن نصيب في بعضها، وأنت إذا شغلك أمر ما وفتحت كتاب شعر، فستجد ـ غالبا ـ بيتا شعريا يناسب ما يشغلك. ولذلك لا وجود لفن قادر على توقع المستقبل[٢].

وهذا التفسير جائز، لكنني لا أحب اللجوء إلى دليل الاتفاق مجردا، والقاعدة العامة عندي أن التفسير بالصدفة تفسير من لا تفسير عنده، يلجأ إليه إذا أعيته الحيلة.

لهذا وجدت عند الخطيب البغدادي كلاما أدق في هذه المسألة، قال: «إنما يدخل الشبه على الناس في أمر المنجمين من قبيل أنهم يرون المنجم يصيب في مسألة تقع بين أمرين، كالجنين الذي لا يخلو من أن يكون ذكرا أو أنثى، أو المريض الذي لا يخلو من أن يصح أو يموت، والغائب الذي لا يخلو من أن يقيم بمكان أو يؤوب»[٣].

وهذا أجود، وإن كان هو أيضا تفسيرا بالاتفاق، فالمنجم إذا تنبأ بما في حمل امرأة كانت حظوظ إصابته ٥٠٪، بالحساب الرياضي (إذا استثنينا احتمال التوائم). بل يكفي أن يقول منجم: هذا الجنين ذكر، ويقول منجم آخر: بل هو أنثى.. ليصدق أحدهما، ويكون هذا دليلا على براعة الصادق وإتقانه للتنجيم!

فالتوقع الذي يكون بين أمرين واضحين، أو مجموعة أمور محددة ومميزة، تكون حظوظه في الإصابة عالية، حتى بالحساب الرياضي.

---

(١) Quelques sciences captivantes, p 208 - 209

(٢) Confessions, livre IV, p 93, et livre VII, p 171.

(٣) القول في علم النجوم، ص ١٩٢.

ثم إن التنجيم لا يمكن أن يثبت بإصابات معدودات، بينما توجد له أخطاء لا تنتهي، ولو كانت أكثر تنبؤات المنجمين تصيب لكان لنا بحث آخر وكلام آخر في الموضوع، لكن كيف ذلك وهم يصيبون في الأقل ويخطئون في الأكثر. يقول الخطيب: «وإن وجد لمن يدعي الأحكام إصابة في شيء، فخطؤه أضعافه، ولا تبلغ إصابته عشر معشاره، وتكون الإصابة اتفاقا كما يظن الظان المنافي للعلم المقارن للجهل الشيء فيكون على ظنه، ويخطئ فيما هو معلوم أكثر عمره، ولا يقال: إن هذه إصابة يعول عليها، ويرجع إليها، بل إذا تكررت منه الإصابة في قوله، وكثر الصدق في لفظه والصحة في حكمه، ولم يخرم منه إلا الأقل حينئذ سلمت له هذه الفضيلة، وشهد له بهذه المعجزة»[١].

وإنما الأمر كما قال الشاعر زبان بن يسار في التطير:

تعلم أنه لا طير إلا ... على متطير وهي الثبور

بل شيء يوافق بعض شيء ... أحايينا وباطله كثير[٢]

٢ ـ ويوجد سبب آخر، هو كثرة التنبؤات التي يلقيها المنجمون، فعددها كبير[٣]، وهي متنوعة في أشكالها ومواضيعها، ولذلك يمكن أن يصيب بعضها، بل الغريب هو ألا يصدق شيء من هذا العدد الهائل من التنبؤات.

يحكي ابن تيمية عن مجلس ضمه مع بعض منجمي زمانه، قال: «... حتى إني خاطبتهم بدمشق، وحضر عندي رؤساؤهم. وبينت فساد صناعتهم بالأدلة العقلية التي يعترفون بصحتها، وقال رئيس منهم: والله إنا نكذب مئة كذبة، حتى نصدق في كلمة»[٤].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «فإن قيل: المنجم قد يصدق؟ قيل: صدقه كصدق الكاهن، يصدق في كلمة ويكذب في مئة. وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قدرا؛ فيكون فتنة في حق من صدقه»[٥].

---

(١) القول في علم النجوم، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) ذكره الخطيب في القول في علم النجوم، ص ١٩٣.

(٣) Quelques sciences captivantes, p 207.

(٤) الفتاوى، ٣٥/ ١٧٢.

(٥) فتح المجيد، ص ٣٠٦. والشيخ عالم نجدي، وحفيد محمد بن عبد الوهاب، ولذلك يذكر في اسمه كلمة آل الشيخ. له كتب في التوحيد. وت ـ ـ وفي سن ـ ـ ة (١٢٨٥هـ، ١٨٦٩م). عن الأعلام، ٤/ ٧٥.

٣ ـ ومن إصاباتهم ما يكون سببه كهانة[١]، لا التنجيم المجرد، فالذين أخبروا فرعون عن مولود بني إسرائيل الذي يكون هلاكه على يديه. توصلوا إليه بطريق الكهانة. وقد اعتبر ابن رشد أن التنجيم من باب الزجر والكهانة، وليس من فروع العلم الطبيعي[٢]. والصدق في الكهانة أكثر منه في التنجيم المجرد.

٤ ـ ومما فسر به ابن سينا إصابة المنجم أن الناس طبقات، وكل طبقة تتشابه أحوالها وتتقارب ظروفها في الحياة، فالسلاطين طبقة، والجنود طبقة، والعبيد طبقة، والنساء عالم... وهكذا. والمنجمون يتنبؤون لكل طبقة بما يناسبها. وقد صنف أحدهم كتابا في طبقات الناس، وجعل لكل طبقة تنبؤات خاصة تصلح لها، ويقول ابن سينا: إن كثيرا من الناس وجدوا في هذا الكتاب وسيلة ممتازة لطلب العيش[٣].

٥ ـ وعموم الأجوبة سبب آخر، فالمنجم يقول لك: إن عدوك يبحث عن وسيلة للقضاء عليك، فتتعجب من مهارته، وإنما لكل أحد عدو أو خصم[٤].

٦ ـ وتوجد ـ غير ما تقدم ـ أسباب أخرى تفسر موافقات المنجم للواقع، في بعض الأحيان، منها: استفادتهم من بعض المعلومات الفلكية، وتنبؤهم بالاستناد إليها بظواهر طبيعية كالكسوف والمطر. ونحو ذلك. وهذا يقوي من مصداقيتهم عند الناس، وخصوصا قديما.

٧ ـ وهناك سبب آخر هو بكل بساطة ووضوح الكذب. فقد كان المنجمون يختلقون قصصا عن منجمين سابقين توقعوا أمورا فحدثت. أو إذا وقعت ظاهرة ما يقولون قد سبق للمنجم فلان أو علان أن تنبأ بها.

وربما حرفوا بعض الحقائق التاريخية ليلائموها مع حساباتهم، كما فعلوا بالنسبة للمصلح الديني مارتن لوثر الذي ولد في ١٠ نوفمبر ١٤٨٣م، فجعلوا بدل ذلك تاريخ ولادته ٢٢ أكتوبر ١٤٨٤م، ليتوافق مع وضع معين للسماء، يكون هو المسؤول عن ظهور مصلح كبير[٥].

---

(١) راجع مفتاح دار السعادة، ص ٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(٢) تهافت التهافت، ص ٢٨٥. وابن رشد هو أبو الوليد محمد بن أحمد، يلقب بالحفيد تمييزا له عن ابن رشد الجد. وابن رشد من كبار الفلاسفة في الإسلام. وهو قرطبي وتوفي بمراكش، ٥٩٥هـ. الأعلام، ٦/٢١٢.

(٣) Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p 16.

(٤) Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p 16.

(٥) L'astrologie, p 97.